ما النّاقد؟..

الحلقة الأولى

قراءة تأسيسيّة في نقد النّقد

إنّ من شأن سؤالنا الماهويّ عن النّاقد: ما النّاقد؟ أنّه سؤال يتعلّق, في الأساس, بهويّة الفاعل النّاقد خلال فعله النّقديّ الذي يمارس الآن -هنا, وما يمكن أن يكونه هذا الفاعل خلال فعله النّقديّ ذاته, وانطلاقاً من هذا الفعل, أو كما هو حال هذا الفاعل خلال فعله, وليس خارج إطار فعله.

على أنّ ما نعنيه بالهويّة هنا, الهويّة النّقديّة بوصفها هويّة نصيّة لهذا الفاعل؛ شكل وجوده النّصي أو اللّغويّ, في علاقته بشكل وجوده التّاريخيّ أو الخارج نصّي. وهذا يقتضي منّا الانطلاق في عمليّة الكشف عن هويّة هذا الفاعل من طبيعة فعله النّقديّ ذاته الذي يمارس, أي من طبيعة العلاقة التي تنشأ بينه كفاعل وما يفترض أنّه فاعل فيه, وأنّه فاعل به, وأنّه فاعل له أو لأجله, أي من شبكة العلاقات المتآَينة أو المتزامنة التي يفترض أنّها تنشأ بينه كفاعل (قارئ) وما هو فاعل (قارئ) فيه, وما هو فاعل (قارئ) به, وما هو فاعل له أو لأجله, باعتبار أنّ كلّ فعلٍ (أيّاً يكن نوعه) هو دوماً فعلٌ في شيءٍ ما (مادّة), وكلّ فعلٍ في شيءٍ ما, هو, بالضّرورة, فعلٌ بشيءٍ آخر (بأداة), وكلّ فعلٍ في شيءٍ, بشيءٍ, هو فعلٌ لأجل شيءٍ وفي سبيله, أو هكذا يفترض, وإلاّ مثّل ضرباً من العبث.

ويمكننا أن نطلق على الشّيء بمفهومه الأوّل, الشّيءَ المادّةَ (النّصيّة), وعلى الشّيء بمفهومه الثّاني, الشّيءَ الأداةَ (آلة القراءة النّقديّة المنهجيّة), وعلى الشّيء بمفهومه الثّالث, الشّيءَ الغرَض أو الغاية أو المقصديّة الكامنة وراء عمليّة القراءة النّقديّة.

سؤال الماهية

وهنا يصبح السّؤال الذي علينا المبادرة إلى طرحه في هذا السّياق: فما الشّيء الذي يفعل فيه القارئ النّاقد عموماً؟ وما الشّيء الذي به يفعل عموماً؟ وما الشّيء الذي له أو لأجله يفعل ما يفعل عموماً؟ وما الطّرق الممكنة التي بها أو من خلالها يفعل؟ أو بالأحرى ما الكيفيّات الممكنة التي يتحقّق بها أو من خلالها فعله النّقديّ الذي ينجز الآن- هنا؟

وهنا نقول: أمّا الشّيء الذي فيه يفعل النّاقد فهو النّص المقروء / المنقود: الآن- هنا. والشّيء الذي به أو من خلاله يفعل فعله النّقديّ هو نصّ القراءة النّقديّة السّابق في الوجود على وجوده الإنّيّ (القرائيّ) المتحقّق الآن- هنا. والشّيء الذي له أو لأجله يفعل, هو ما يمكن تسميته بـ" نصّ القراءة النّقديّة الحلم" الذي ما ينفكّ القارئ النّاقد يسعى إلى القبض عليه, ومحاولة تجسيده خلال فعله النّقديّ الذي ينهض به الآن- هنا.

ولأنّه لا انفكاك بين هذه الأشياء / النّصوص جميعاً, على الأقل, خلال حركة الفعل النّقديّ الفاعل فيها أو المتحقّق خلالها, أو خلال علاقتها بعضها ببعض- لأنّه لا يكون فعلٌ نقديٌّ حقيقيٌّ بدون حضور هذه الأشياء / النّصوص جميعاً, وممارسة كلّ منها لدوره البنيويّ في إطار علاقة كلٍّ منها بالآخر – فهذا يقتضي أنّه لا استقلال لأيٍّ منها بوظيفته دون الآخر, أو لا وجود لأيٍّ منها بعيداً عن وجود الآخر, أو قل: إنّه لا يمكننا أن ننسب إلى أيٍّ منها دوراً خاصّاً به, أو وظيفةً معيّنة, بل يجب أن ننسب إليها وظيفةً بنيويّةً في إطار علاقة كلٍّ منها بصاحبه.

وهذا يقتضي أنّه يشترط في كلّ فعلٍ نقديٍّ حقيقيٍّ حضور خمسة أطراف رئيسة على الأقل:

طرف الفاعل النّاقد.

وطرف النّص المقروء / المنقود.

وطرف القراءة النّقديّة السّابق في الوجود على وجود الفاعل النّاقد.

وطرف نصّ القراءة النقديّة الحلم الذي ما ينفكّ يسعى إليه النّاقد, محاولا القبض عليه وتجسيده خلال فعله النّقديّ الذي ينجز الآن- هنا.

وطرف الفعل النّقديّ نفسه, بوصفه فعلاً (تجريبيّاً) جامعاً بين هذه الأطراف جميعاً, ومجسّداً, في الآن نفسه, حضور بعضها في حضرة بعضها الآخر, وتأثير بعضها في بعضها الآخر, بطريقة تشفّ عن خصوصيّة التّجربة النقديّة برمّتها, وبكلّ مكوّناتها ومقوّماتها, ومن ثمّ, بوصف هذا الفعل فعلاً فاعلاً في ذاته, فعله فيما هو فعلٌ فيه (النّص المقروء), وفيما هو فعلٌ به (نصّ القراءة), وفيما هو فعلٌ له أو لأجله (نصّ القارئ الحلم).

-١-

النّاقد

ويبقى السّؤال الذي علينا المبادرة إلى طرحه هنا: فما النّاقد إذن؟! ونحن نحاول اكتناه كنه النّاقد أو ماهيته, يحسن بنا أن ننطلق من سؤال التكلّم في الماهية: كيف نتكلّم في الفاعل النّاقد؟ من أيّ موقع أو زاوية, علينا أن ننظر إليه؟ وكيف نحدّد ماهيته؟ هل نحدّد ماهية النّاقد, انطلاقاً ممّا يكونه في فعله / كلامه النقديّ الذي يتكلّم أو يمارس الآن- هنا؟ أم علينا أن نحدّد ماهيته انطلاقاً ممّا نكونه نحن المتكلّمين عنه؟ أي كما يبدو لنا نحن أنفسنا كنقّاد في خبرتنا المباشرة, بدون واسطة؟ أي كما نحسّ به, أو كما نجرّبه أو نمارسه في سياق علاقتنا المباشرة بما ننقد؟ أم علينا أن نحدّد ماهية النّاقد انطلاقاً من الكلام عنه, أو مما يتكلّمه كلام الآخر عنه؟ بتعبير آخر: هل علينا أن نفكّر في النّاقد انطلاقاً من فكره النّقديّ ذاته؟ أم من فكر من فكروا فيه وفي نقده من نقّاد سابقين؛ قدامى ومحدثين؟ أم علينا أن نفكر فيه انطلاقاً من كلامه النّقديّ نفسه, أو ممّا يكونه هو نفسه في كلامه النّقديّ عينه؟ هل علينا أن ندرك النّاقد بوصفه هذا الكائن الفاعل فعل النّقد؟ فنتعرّف على هويّته انطلاقاً ممّا يكونه ذاته في كلامه النّقديّ, أي كما يتكلّم هو ذاته عن ذاته أو كما يفصح هو نفسه عن نفسه خلال كلامه النقدي الذي يمارس الآن – هنا؟ أم ندركه كما أدركه الآخرون الذين سبق لهم خوض غمار تجربة الكلام عنه؟ أي كما تكلّم عنه الذين فكّروا فيه من قبل؟

غير أنّ من حقّنا, قبل ذلك أن نسال:

ولكن هل ما نهدف إليه في هذا البحث هو حقّاً مجرّد التّعرّف على النّاقد كمفهوم, أو كدالّ يحيل على مدلول؟ أم نهدف إلى التّعرّف عليه كماهيةٍ أو كحقيقة أو بالأحرى كفعل وفاعليّة ينجزها فاعل, هو الفاعل المتكلّم كلام نقد, أي كحدث وكمحدث, أو كدالّ وكدلالة وكدليل, أو كتشكّل وكشكلٍ من أشكال الوجود اللّغويّ أو التّواصليّ التي تختلف غايةً ووظيفةً من متكلّم لآخر؟

إنّ ماهية النّاقد, لا تكمن في مادّة الفعل اللّغويّ للفظ ناقد, ولا في تلك الصّورة المجرّدة التي حملناها عن النّاقد أو التي يمكن أن نتخيّلها عنه, وإنّما تكمن أو تتكشّف في الممارسة الفعليّة لفعل النّقد نفسه, فالفاعل النّاقد عندما يمارس فعل النّقد, هنا فقط يكون ما هو عليه, أي تتكشّف لنا ماهيته أو أسلوبه في الوجود, بوصفه كائناً فاعلاً فعلاً نصيّاً يجسّد خلاله حقيقة وجوده النّصيّ بامتياز. وهذا يقتضي أنّ النّاقد عبارة عن» بنية نصيّة, من جهة, وفعل مركّب, من جهة ثانية, ومن هنا تبقى العلاقة بين البنيّة النّصيّة والعمليّة المركّبة تشبه العلاقة بين الهدف وتحقيقه».

د. عبد الواسع الحميري

وبما أنّ النّاقد فاعلٌ نصّيٌّ (مجال فعله نصوص الكلام الحيّ), وأداةُ فعله لغةُ تلك النّصوص, وغايةُ فعله التّغيير على مستوى بنية اللّغة (لغة الكلام الحيّ سعياً إلى تغيير واقع المتكلّمين بتلك اللّغة)؛ فهو إذن كائنٌ فاعلٌ؛ فعْله في اللّغة, باللّغة, للّغة, وهذا يقتضي أنّه يتجسّد وجوده خلال فعله اللّغويّ الذي ينجز, لذلك نجد لزاماً علينا الانطلاق من سؤال الهويّة أو الماهية المتعلّق بهويّة هذا الفاعل خلال فعله أوّلا:

-وهل هو فاعلٌ حقيقيٌّ؟ بمعنى متوافرٌ على شروط الفاعليّة الحقيقيّة؛ بوصفها شروط التّأثير, أو (الخرق) وإحداث الأثر المرجوّ فيما يستهدفه بفعله النّقديّ (لغة نصوص الكلام الحيّ وطرائق تأليفها) أو فيما يفترض أنّه فيه يفعل؟ أم هو فاعلٌ مجازيٌّ؟ أم هو فاعلٌ حقيقيٌّ ومجازيٌّ, في آن معاً؟ بتعبير آخر: هل هو كائنٌ كينونته في ممارسة الفعل النّقديّ الحقيقيّ؟ أم هو كائنٌ كينونته في ادّعاء الفعل النقديّ الحقيقيّ؟ ومن ثمّ, هل هو كائنٌ كينونته نصيّةٌ (من ورق فقط)؟ أم هو كائنٌ كينونته خارج نصيّة, أو فوق نصيّة (اجتماعيّة أو تاريخيّة)؟ أم هو كائنٌ كينونته كليّة (مركبة)؛ نصيّة وخارج نصيّة, في آن معاً؟ أي بوصفه كائناً مزدوج الهويّة؛ موجوداً في النّص وجودَه خارجَ النّص؟ ومن ثمّ, فهل هو فاعلٌ أحاديٌّ؟ أم تعدّديٌّ؟ جزئيٌّ؟ أم كلّيٌّ؟ تسلطيٌّ؟ أم تفاعليٌّ, علائقيٌّ (جدليٌّ)؟ باحثٌ عن معرفة ممكنة بنصوص الكلام الحيّ التي يدخل في سجال معها وعبرها؟ أم مقرّرٌ معرفة جاهزة, أو واهبٌ معرفة محقّقة لتلك النّصوص؟ هل يتبادل المعرفة (الممكنة) مع غيره؟ أم يعطي المعرفة (الجاهزة) لغيره؟ ومن ثمّ, هل هو كائن كيانيٌّ؟ بمعنى محدّد الكيان والكينونة, أي عبارة عن كائن متحقّق الوجود في أكوان نصيّة مغلقة هي بمثابة كيانات مغلقة؟ أم هو كائن كونيٌّ؟ بمعنى متحقّق الكينونة أو الوجود في أكوان نصيّة كليّة مفتوحة على المتعدّد واللاّنهائيّ؟ أم هو كائن كيانيٌّ وكونيٌّ, في آن معاً؟

على أنّه يجب الإشارة هنا إلى أنّه يلزم من القول عن النّاقد: إنّه كائن كيانيٌّ, القول عنه أيضا: إنّه كائن موحّد الكيان, غير منشطر الكينونة؛ كيانه واحد موحّد, وكينونته كذلك واحدة موحّدة, وأنّه, من ثمّ, كائن كامل أو مكتمل الكينونة؛ جاهزها ونهائيّها (قارّ غير ديناميكيّ). في حين يلزم من القول عن النّاقد: إنّه كائن كونيٌّ, القول عنه أيضا: إنّه كائن متصدّع الكيان, منشطر الكينونة أو متعدّدها, وأنّه, من ثمّ, كائن غير مكتمل الكينونة أو ناقصها, لذلك فهو ما ينفكّ يبحث عن اكتمال ممكن في متعدّد الأكوان النّصيّة, أو في متعدّد النّصوص والقراءات, فالأوّل يعدّ إذن كائنا مبرمجا بامتياز, أي تبرمجه نصوص الثّقافة- السّلطة بمستوياتها كافّة: الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة, إضافة إلى نصوص القراءة النّقديّة (المنهجيّة) الجاهزة التي ما تنفكّ تبرمجه من داخله, وتوجّه قراءاته باتّجاهات محدّدة لا يعدوها. في حين يعدّ الثّاني كائنا غير مبرمج أو يتجاوز منطق البرمجة النّصيّة الدّاخليّة بأشكالها كافّة.

وهنا يمكن الحديث عن كينونة تناصيّة مغلفة للنّاقد؛ لأنّها تتناصّ مع نصوص (أحاديّة) مغلقة بطريقة (أحاديّة) مغلقة (١) وعن كينونة تناصيّة مفتوحة؛ لأنّها تتناصّ مع نصوص كليّة مفتوحة, بطريقة كليّة مفتوحة.

غير أنّ السّؤال: لكن ماذا نعني بهذه النّصوص الكليّة المفتوحة؟ وكيف تتحقّق الكينونة النّصيّة أو التناصيّة للنّاص النّاقد في إطارها جميعاً؟!

-٢-

النّص

إذا كنّا نعتقد أنّ النّص – على الأقلّ حسب دلالته اللّغويّة- هو ما ينصّ أو ينصص- بمعنى يظهر ويبرز – اختلافَ وتفرّدَ شيءٍ ما, قد تكون ذاته النّاصّة؛ شكلَ وجوده الخاصّ (بوصفه مزيجاً مركّباً من أنظمة القول المختلفة), وقد يكون شيئاً ما آخر يتجاوز هذه الذّات أو يقع خارج حدودها, كأن ينصّ- على سبيل المثال لا الحصر- وظيفته (التّمثيليّة أو الإبلاغيّة), أو وضعيّته الخاصّة في إطار نصوص الكلام عامّة, أو وضعيّة منتجه (مؤلفه)- فهذا يمنحنا الحقّ في النّظر إليه بوصفه ما ينصص (يظهر ويبرز) اختلاف أنظمة القول والفعل (الخطاب) عموماً, أو أنظمة التّفكير والتّعبير عموماً, لذلك فهو (النّص) يختلف باختلاف هذه الأنظمة التي يعكسها (أو يعيد إنتاجها بصورة ما) ويتعدّد بتعدّدها, وبتعدّد طرائق التّفاعل معها, ودوافعه, أو الغاية منه. ما يضعنا- بالنّسبة للنّاص النّاقد (الذي نحاول الكشف عن ملامح هويّته هنا) إزاء ثلاثة نصوص كبرى, على الأقلّ, تجسّد- في جملتها- حضور ثلاثة أنظمة رئيسة:

– فهناك ما نسمّيه" نصّ الكاتب / القارئ (النّاقد)".

– وهناك ما نسمّيه» نصّ الكتابة / القراءة (النقديّة) السّابق في الوجود على وجود الكاتب / القارئ».

– وهناك ما نسمّيه» النّص المكتوب / المقروء».

(٢-١)

نصّ الكاتب / القارئ

وما يميّز النّص بمفهومه الأوّل (الذي نسمّيه»نصّ الكاتب / القارئ»، عن النّص بمفهومه الثّاني (الذي نسمّيه نصّ الكتابة / القراءة) والثّالث (الذي نسمّيه النّص المكتوب / المقروء): أنّه منسوب إلى الفاعل: الكاتب / القارئ؛ إمّا بحكم أنّه هو من فعله لا سواه, أو بحكم أنّه من تعلّقت به إرادته ليفعله, وإنْ لم يكن قد فعله, أي بحكم أنّه من إنجازه, لا من إنجاز غيره, وهنا تكون الإضافة أو النّسبة مفيدةً الملكيّة والاختصاص, أو بحكم أنّ إرادته كفاعل قد تعلّقت بفعله أو بإنجازه, وإنْ لم يكن قد أنجزه بالفعل, وهنا لا تكون الإضافة مفيدةً الملكيّة أو الاختصاص, وإنّما تكون مفيدةً تعلّق الإرادة أو الرّغبة بفعله مستقبلاً, وإنْ لم يكن قد تحقّق له ذلك, وهذا يقتضي أنّنا نطلق»نصّ الكاتب», ومثله» نصّ القارئ», ونريد به- في سياق ما نحن فيه هنا- واحداً من اثنين: ما ينجزه الكاتب / القارئ- بالفعل- من نصوص كتابيّة (إبداعيّة) / قرائيّة (نقديّة).

ما يطمع في إنجازه مستقبلاً, وإن لم يكن قد أنجزه بصورة فعليّة ونهائيّة, المهمّ أن تكون إرادته قد تعلّقت بفعله, وسعى إلى تحقيق تلك الإرادة بغض النّظر عن نتائج سعيه. لذلك يمكن وصف هذا النّوع من النّصوص, بأنّه يمثّل نصّ الرّغبة, أو نصّ الحلم؛ حلم الاختلاف والتّفرّد الذي يسكن أنا الكاتب / القارئ (اللاّواعية) وتسكنه هذه الأنا أيضا, أو لنقل: إنّه النّص الذي يتبادل السّكنى وإيّا هذه الأنا, بحيث يبدو كلٌّ منهما مسكوناً بالآخر وساكناً فيه, لذلك يغدو بحث الكاتب / القارئ عن هذا النّص, والعمل على تجسيده فيما يقرأ أو يكتب بمثابة البحث عن أناه الكاملة المكتملة, ولكنّها الضّائعة المضيّعة, في الوقت نفسه, إنّه نصّ الكمال والاكتمال الذي تسكنه أنا الكاتب / القارئ الكاملة المكتملة, أو الذي يتبادل السّكنى وإيّا هذه الأنا, ومن هنا يغدو العثور على أيٍّ منهما شرط العثور على الآخر وضرورته. فنصّ الكاتب / القارئ المنجز هو إذن أحد أشكال تحقّقات الكينونة الكاتبة / القارئة فيما مضى, ويبقى نصّ الكاتب / القارئ غير المنجز بمثابة تلك الصّورة المثاليّة الممكنة غير القابلة للتّحقّق, وإنْ حاول الكاتب / القارئ البحثَ عنها أو التحقّقَ من خلالها, فنصّ الكاتب / القارئ إذن هو النّص المجسّد حضور الكاتب / القارئ فيما مضى, وهو أيضاً النّص الذي يطمع في أن يجسّد حضوره فيما سيأتي, إنّه نصّ الوجود المتحقّق في الماضي, كما أنّه نصّ الوجود الذي يطمع في أن يتحقّق في المستقبل (٢).

وبما أنّه لا وجود لأنا كاتبة / قارئة كاملة أو مكتملة في الواقع, فهذا يقتضي أنّه لا وجود لنصّ الكمال والاكتمال, أو لنصّ الاختلاف والتّفرد الكتابي/ القرائي بالمعنى الذي تحاول أنا الكاتب / القارئ البحث عنه وتجسيده, وإنّما الموجود دوماً, هو نصّ الوجود الكتابي/ القرائي النّاقص, ولكنّه الباحث دوماً عن اكتمال ممكن.

لذلك يظلّ هذا النّص يمثّل حلم الكاتب أو القارئ في الكتابة أو القراءة, على معنى أنّه يظلّ بمثابة ذلك النّص الهارب الذي ما تنفكّ تحاول الذّات الكاتبة أو القارئة الاقتراب منه والإمساك به, أو القبض عليه, فيما تجترح من فعل كتابي أو قرائي, ولكن أنّى لها ذلك!

لذلك فهو يبقى بمثابة ذلك النّص القريب البعيد, المتوقّع, لكنّه غير القابل- في الوقت نفسه – لأن يقع (كما هو, أو كما تتطلّع إليه), إنّه نصّ الإمكان الدّاخليّ الباحث – في الخارج – عن تحقّق ممكن, وهو ذاته النّص الذي نظر إليه ابن المقفّع بوصفه نصّ الوجود الشّعري المثال الذي عبّر عنه بقوله, ردّاً على من سأله محتجّاً:" لِمَ لا تقول الشّعر, وأنت من يملك ناصيته؟! فقال:" الذي أرضاه (من نصوص الشّعر) لا يجيئني, والذي يجيئني (من نصوص الشّعر) لا أرضاه (٣)". إذ تشير هذه المقولة إلى أنّ ابن المقفّع قد بات يرفض أن يتعاطى كتابة الشّعر, لأنّه لا يريد أن يكلّف نفسه عناء البحث عمّا لا قدرة له عليه, ولا سبيل له إليه, وهذا انطلاقاً من رؤيته لطبيعة الكتابة الشّعرية ذاتها, وأنّها- حسب اعتقاده- إمّا أن تكون تجسيداً حيّاً لحضور ما يرضاه الكاتب الشّاعر من نصوص الكتابة الشّعريّة, وإمّا ألاّ تكون البتّة, ما يعني أنّه لا يجوز أن تصبح الكتابة الشّعريّة بمثابة التّجسيد الفعليّ لنصّ الفقد والغياب, أو لحالة البحث عن نصّ الكتابة الشّعريّة المفقود الغائب, أو بالأحرى لحالة التّنافي الدّائم بين النّاص الكاتب, وما يحاول أن ينصص خلال فعل الكتابة الشّعريّة من نصوص شعريّة, وإلاّ صارت ضرباً من العبث المدمّر لصاحبه قبل غيره. وكأنّي بابن المقفّع قد أخذ يقول لذلك المتسائل المحتجّ: إنّني لم أحاول كتابة الشّعر, لسببين اثنين:

– أحدهما كامن فيّ أنا: فأنا لا أريد أن أكلّف نفسي عناء البحث عمّا لا قدرة لي عليه, ولا سبيل لي إليه, كما هو, أو كما أريده.

– وثانيهما كامن في رؤيتي لطبيعة الكتابة الشّعريّة: وأنّها إمّا أن تكون تجسيداً حيّاً لحضور (نصّ الكتابة الشّعريّة الغائب الذي يرضى عنه الكاتب, ويطمح إلى التّحقّق من خلاله, وإمّا ألاّ تكون البتّة, المراد: إمّا أن تكون تجسيداً حيّاً لحضور ما يرضاه الكاتب الشّاعر من نصوص (الكتابة) الشّعرية, وإمّا ألاّ تكون,كأنّه أراد أن يقول لذلك الرّجل: إنّ الذي أرضاه من نصوص الكتابة الشّعريّة, لا يرضاني, أو يتأبّى عليّ (جامح), ولا يسلم قياده لي, والذي يرضاني من نصوص تلك الكتابة, ويسلم قياده لي, لا أرضاه أنا, ما جعل العلاقة بين الكاتب الافتراضيّ (ابن المقفّع) ونصوصه متوتّرة دوماً, متنافية دوماً؛ ينفي, خلالها, كلٌّ منهما صاحبه. وهو أمر من شأنه أنّه يبرز الكاتب (ابن المقفع) الذي هذا شأنه, كائناً معلّقا في هاوية الما بين: يرضاه هو من نصوص الشّعر, ولا يجيئه, وما يجيئه من نصوص الشّعر, ولا يرضاه, وكأنّه أراد أن يقول: إنّه لا يجوز أن تصبح الكتابة الشّعريّة بمثابة التّجسيد الفعلي لحالة التّنافي الدّائم بين الكينونة النّاصة أو الكاتبة وما تحاول أن تنصص خلال فعل النّصنصة والتّنصيص الكتابيّ الذي تمارس, وإلاّ صارت ضرباً من العبث المدمّر لصاحبه قبل غيره. وبما يشير إلى أنّه لا وجود لما نسمّيه نصّ الكاتب / القارئ في عالم واقع الكاتب أو القارئ, أو في عالمهما الواقعيّ؛ خارج ممارسة فعل الكتابة أو القراءة الذي ينهضان به, وإن ظلّ يمثّل لهما حلم الكتابة أو القراءة الممكنة وشرطها في آن معا.

على أنّ ما يؤكّد هذا, من جهة ثانية, موقف أبي حيّان التّوحيديّ الذي ما انفكّ ينظر إلى هذا النّص بوصفه, من جهة, نصّ الواقع الذي وقع يقيناً ولا أمل في أن يقع من جديد, وبوصفه, من جهة ثانية, نصّ المتوقّع الذي لم يقع يقيناً, ولا أمل مؤكداً في وقوعه, ومن ثمّ, بوصفه النّص المستحيل, أو النّص الهارب- دوماً- باتّجاهين متعاكسين: باتّجاه ما مضى, أو باتّجاه ما سيأتي, لذلك وجدناه يقول مصوّراً تعلّق كينونته بهذا النّص الغائب الهارب, ومكابداته الدّائمة في سياق بحثه الدّائم عنه, أو عن حضور ممكن له في حضرته (٤):" قد تعلّق كلّي بواقع لا رجوع له, ومتوقّع لا يقين في لحاقه".

على أنّ اللاّفت في موقف التّوحيديّ المعبّر عنه في كلام العبارة السّابقة, أنّه قد جعل كينونته معلّقة في الهاوية بين نصّين هاربين منه دوماً, متباعدين عنه دوماً, أو لنقل: إنّه قد جعل حضوره الكينونيّ الحاضر الآن- هنا حضوراً مشبوحاً في حضرة نصّين هاربين منه دوماً, متباعدين عنه دوماً, وإن بقيا (يتجاذبانه) دوماً, لتتّسع المسافة بينهما كلّما اتّسعت مساحة البحث عنهما, في إشارة إلى أنّ حضوره الحاضر: الآن- هنا في حضرة البحث عنهما, قد بقي على الدّوام حضوراً في حضرة مكابدة الفقد والغياب؛ فقد وغياب نصّ الواقع الذي وقع يقيناً, ولا قدرة له على استعادته, وفقد وغياب نصّ الوجود الممكن الهارب صوب المستقبل, ولا قدرة له على اللّحاق به والقبض عليه. وهذا يقتضي أنّ حضوره قد بقي, على الدّوام, حضوراً في حضرة نصّ المكابدة: مكابدة النّدم على ما فات, أو الأمل الخادع فيما هو آت, ولا شيء غير هذا النّص.

على أنّ ما يؤكّد هذا, من جهة ثانية, أنّه قال في موضع آخر, واصفاً ما عليه حاله في سياق مكابداته هذه:" واعلم أنّي في حساب لا ينتهي, وعتاب لا ينقضي... وقد عرفتُ أفتي, ووقفتُ على عُلّتي, وفطنتُ لمحنتّي؛ كِبَرٌ قد سدّ طُرقي, وعُجبٌ أتى على جلّ أمري, وعلمٌ قد صار وبالاً عليّ, ومرادٌ قد جدّ في التّولّي عنّي, ورسخ مثاله في صدري (٥)".

وهذا يقتضي أنّه النّص الحلم (نصّ الوجود بالقوّة) الذي يسكن صدر الموجود الكاتب / القارئ – حسب عبارة التّوحيديّ- لكن دون أن يكون بمقدوره القبض عليه وإخراجه من حيّز الوجود بالقوّة إلى حيّز الوجود بالفعل, وتجسيده في لغة كليّة مكتوبة/ مقروءة. إنّه إذن ما يستهدفه الكائن النّاص الكاتب / القارئ بفعل النّصنصة والتّنصيص الكتابي / القرائيّ, بحثاً عنه, أو سعياً إلى القبض عليه, أو إلى التّحقّق من خلاله, لكن دون جدوى, فهو إذن ذلك النّص الحاضر في صدر النّاص الكاتب أو القارئ, أو في عاله الدّاخلي, لكنّه الغائب عن عاله الكتابي/ القرائيّ في لحظة الفعل الرّاهنة, أو عن إمكانيّة الممارسة الفعليّة للكتابة / القراءة, إنّه عبارة عن النّص المراد دوماً, لكنّه المنفلت من قبضة الكائن المريد دوماً, أو الخارج عن إرادته المتحقّقة باستمرار.

هامش:

١ وما نعنيه بالنّصوص المغلقة هنا نصوص القراءة النّقديّة (المنهجية) الجاهزة بوصفها نصوصاً تبرمج الكائن النّاقد المتناص (المتناص هو النّاص في حال تناصّه مع جملة النّصوص التي يتشكل منها النّص) وتشلّ قدرته على التّساؤل (على الإصغاء والحوار) أو على الحركة والفعل المفتوحين على المتعدّد واللاّنهائيّ.

٢ ينظر: الحميريّ (عبد الواسع): في الطّريق إلى النّص, المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر (مجد) بيروت, ط ١, ٢٠٠٨م, ٥٩، وما بعدها.

٣ (الجاحظ, البيان والتّبيين: ١ / ٢٠٩).

٤ (الإشارات الإلهيّة: ٢١٤).

٥ (نفسه).

نظمها مكتب ثقافة إب

حلقة نقاشية بعنوان «المقدسات الوطنية بين الأعراف القبلية والتعصبات الحزبية»

«الثورة»

□ شهدت قاعة المركز الثقافي بإب حلقة نقاشية حول الأدوار الوطنية والنضالية للقبائل اليمنية في مراحل التحرر من الإمامة والاستعمار والذود عن الوحدة اليمنية وحماية الوطن والشعب من شرور وتآمرات وإقلاق للسكينة العامة، وكيف استطاعت القيم والأعراف القبلية التصدي للتجاوزات والتعصبات الحزبية العمياء التي تمس كيان ومقدسات الثورة والوحدة وحرمات الناس.

كما تطرقت الأوراق إلى تلك الحقب التي شهد فيها الوطن هجمات إمامية وشطرية أراد منفذوها قهر وإذلال واستبداد الوطن اليمني وتمزيق أوصاله وكيف حاولت تلك القوى الإساءة للقبائل والتغرير بهم أو كسب عواطفهم، لكن أصالة القيم والأعراف القبلية الأصيلة رفضت ذلك وانتصرت للكرامة والإرادة اليمنية وبذلت القبائل أنهاراً من الدماء فداءً للثورة والجمهورية والوحدة وانتصاراً للشرعية، لذا لا يمكن أبداً أن تخضع القبيلة اليمنية للتجاوزات والأطماع والتناحرات الحزبية التي تستهدف أمن الوطن واستقراره وثوابته.

شارك في الحلقة النقاشية المناضل حزام الخشعي، وصالح عبدالله الخباني، والأديب عبدالله الكامل، وعبدالحكيم مقبل، وخالد الكريزي.

معرض العين الإماراتي يحتفي بالأدب الكوري

● أبوظبي - افتتح صباح أمس الأول معرض «العين تقرأ» للكتاب في دورته الثالثة ا لذي تقيمه هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ، وذلك بمشاركة ٣٠ ناشرا وموزعا محليا، ونخبة من المؤلفين والشعراء والفنانين، وعدد من الفعاليات التراثية والثقافية التي سوف تقام خلال الفترة من ٢ و لغاية ٨ أكتوبر/ الجاري . وقام بافتتاح المعرض الدكتور علي بن تميم مدير مشروع كلمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث .

وسوف يشهد المعرض أيضا قراءات لقصص تركز على الثقافة والتراث في الإمارات وقراءات أخرى لكتاب حول أعمال قاموا بتأليفها، فضلا عن فرصة فريدة من نوعها لمعرفة الكثير حول «كيفية تحويل الكتب إلى سيناريوهات درامية»، وهي جلسة يديرها الممثل والمخرج الإماراتي المعروف نواف الجناحي.

كما يتضمن «العين تقرأ» عرضا لمجموعة من الرسومات التشكيلية والصور الفوتوغرافية ولوحات الخط العربي التي أنجزها فنانون إماراتيون.

وفي هذا الصدد، قال الدكتور علي بن تميم: «إنه لمن دواعي السرور أن يكون لدى هذا الجيل الرغبة والشغف حيال الكتب وكل النشاطات المرتبطة بها. ويُسعدنا أن نعود إلى العين ونجعل القراءة والكتب أكثر قربا من أهالي هذه المدينة. لقد شهدت نسخة ٢٠١٠ زيادة في عدد الزوار وعشاق القراءة الذين يعودون من جديد إلى المعرض. وسوف يكون الموقع الجديد لهذه التظاهرة أقرب إلى وسط المدينة مما يسهّل على الزوار الحضور والاستمتاع بالفعاليات المقامة. يُعتبر المعرض حدثا محليا فريدا من نوعه، وقد غمرتنا ردود الفعل الإيجابية المتلقاة سواء من قطاع النشر أو مجتمع العين الذي يعكس ما لديه من شغف تجاه الكتب. ومع إضافة حلقات ونقاشات جديدة وحضور ضيوف جدد، لا شك بأن هذه التظاهرة سوف تتيح للجمهور في أبوظبي والمنطقة الشرقية فرصة حقيقية لقراءة الكتب والاطلاع على الثقافة الإماراتية الغنية».

افتتاح الجناح الكوري

كذلك افتتح الدكتور بن تميم مع بارك سانغ جين الوزير الدبلوماسي في سفارة الجمهورية الكورية ركن الكتب الكورية بالعين مول، حيث أكثر من ١٥٠ كتاباً جديداً للأطفال من كوريا الجنوبية، تستضيفها هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ضمن فعاليات معرض «العين تقرأ» للكتاب، وذلك في خطوة جديدة تكرس التعاون الثقافي والمعرفي بين كوريا الجنوبية والإمارات العربية المتحدة، انسجاماً مع العلاقات الاستراتيجية الدبلوماسية والاقتصادية والتعليمية بين البلدين.

ويأتي هذا التعاون ثمرة للانفتاح الثقافي في العاصمة أبوظبي على مختلف ثقافات العالم ولغاته، والذي يندرج مشروع «كلمة» للترجمة في إطاره، سعياً إلى تقديم كل ما هو جديد ومختلف من ثقافات العالم وعلومه وآدابه وعدم الاكتفاء باللغة الإنجليزية أو الفرنسية مصادر شبه وحيدة لاستقاء هذه المعارف وترجمتها.

ويكشف الركن المخصص بكوريا الجنوبية ضمن جناح الهيئة عن حجم هذا التعاون الثقافي الذي كان قد ترسخ خلال زيارة قام بها كلّ من سعادة جمعة القبيسي نائب مدير عام هيئة أبوظبي للثقافة والتراث لشؤون دار الكتب الوطنية ، ود. علي بن تميم، لمدينة الكتاب «باجو» في كوريا الجنوبية، والتي التقيا خلالها عدداً من الناشرين الكوريين وتمّ الإتفاق على أشكال عدة من التعاون بين الجانبين، تتضمن ترجمة أعمال من الكورية إلى العربية، والعكس.

وفي هذا المجال يقول جمعة القبيسي: «إن هذا التعاون بين البلدين ليس جديداً، فهو قائم منذ أكثر من ثلاثة عقود، على الصعيد الدبلوماسي والاقتصادي، لكنّ كوريا الجنوبية بلد غنيّ ثقافياً أيضاً، ولديه على صعيد الآداب والفنون ما يقدّمه للعالم، ولاسيما العالم العربي، بل إن لقاءاتنا السابقة مع كبار صناع النشر والثقافة في كوريا الجنوبية، قد أكدت لنا مدى توقهم للتواصل ثقافياً مع منطقتنا، كما رغبتهم في أن يصل نتاجنا إليهم على حدّ سواء». وأضاف القبيسي: «إن حجم الكتب الكورية التي تقدمها مترجمة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث خلال معرض العين تقرأ يؤكد جدية هذا الحوار الثقافي والمعرفي الذي سيتعزز بخطوات مستقبلية متعددة المستويات».

وقد أصدر مشروع «كلمة» للترجمة ترجمات لعشرات الكتب الكورية للأطفال والناشئة، في حين أصدر قسم «إصدارات» التابع للهيئة أيضاً عدداً كبيراً من هذه الأعمال، التي من شأنها كما يقول د. علي بن تميم «أن تقدّم للقراء العرب الصغار، وحتى الكبار مذاقاً أدبياً وفنياً مختلفاً عما ألفوه في السابق. فالثقافة الكورية الجنوبية قديمة وضاربة الجذور في التاريخ، كما أنها مؤثرة ومتأثرة بالتيارات الحداثية في العالم، ومن هنا كان من المهم تقديم هذه التجربة التي تضيء لنا جوانب مهمة عن ثقافة وتاريخ هذا البلد العريق». وأضاف بن تميم: «أهمية هذا التعاون أنه لا يمضي في اتجاه واحد، بل في اتجاهين، فهو في نهاية المطاف حوار فكري وثقافي وإنساني، وبالتالي وبقدر ما يهمنا التعرف إلى كوريا بصورة أكثر عمقاً، يهمّ كوريا وصناع الثقافة فيها التعرف علينا أيضاً، وثمة اتفاقات مع الناشرين الكوري